

أساليب البيان العربي في أشعار العلماء السنغاليين:

دراسة بلاغية لنماذج مختارة

الدكتور أحمد دام جوب

قسم اللغة العربية بجامعة إلورن، إلورن، نيجيريا

ahmad.dd@unilorin.edu.ng

الملخص

دخلت اللغة العربية في السنغال مع الإسلام من القرن الحادي عشر الميلادي. وبعد فترات طويلة صارت لغة من لغات المسلمين، وصارت بعض علومها علما من علومهم، وخاصة علومها اللغوية والأدبية. وقد دفع الباحث إلى كتابة المقالة ما لاحظته من أثر فعال للغة العربية على ثقافة السنغاليين، وتأثيرها المتواصل فيهم من جوانب الحياة المختلفة، منها الجانب العقلي، والجانب العلمي، والجانب الثقافي، والجانب الديني وغيرها. وأدى هذا التأثير بهم إلى تمكنهم من قراءة المكتوبات بالعربية، وكتابتها وفهم القرآن الكريم ومبادئ الإسلام وأحكامه، والقدرة على تأليف الكتب الإسلامية والعربية، وقرض الأشعار العربية مقطوعات وقصائد بأغراضه، وكتابة لغاتهم المحلية، كـ"وُلُوف"، وفُلات، وسِيرِير" بحروف اللغة العربية، وكذلك رسائلهم الإخوانية، وأشعارهم الشعبية، ومداولهم التجارية، وعرفوا بها تاريخ الأمم القديم وحضارتهم، ونالوا بها أيضا العلاقة الوثيقة بينهم وبين العالم العربي والإسلامي. وإشكالية البحث هي بيان بعض ما في أشعار العلماء السنغاليين من الظواهر البلاغية

وتهدف هذه المقالة إلى دراسة نصوص شعرية لبعض العلماء السنغاليين من القرن الثامن عشر الميلادي حتى القرن العشرين الميلادي لبيان مدى توفيقهم في توظيف الظواهر البلاغية المختلفة في أشعارهم بأغراضها المختلفة.

وتسير هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي والوصفي. وتوزع الدراسة على المقدمة والمبحثين؛ الأول يدرس أساليب البيان العربي في الإنتاجات الشعرية لأربعة من العلماء الذين عاشوا ما بين القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي، والمبحث الثاني يبحث في أساليب البيان العربي في الإنتاجات الشعرية لأربعة من العلماء الذين عاشوا في القرن العشرين الميلادي.

المقدمة:

للسنغاليين لغات محلية، ومن أشهرها: (وُلُوف، وفُلَات، وسِيرِيْر) يعبرون بها عن أفكارهم وينظمون بها أغنيتهم وأناشيدهم الشعبية، ولهم أيضا القصص والأمثال ولكنها كانت محفوظة في الصدور لا في الأوراق، وكذلك علومهم ومعارفهم والفنون التي حذقوها المتمثلة في التقاليد والعادات القبلية، وكل قبيلة تنفرد بثقافتها وتحافظها وكانت ولهم قاسم مشترك في البعض كالرقص والمصارعة والنظام الملكي والصناعة اليدوية^١ وهذا كله قبل مجيء اللغة العربية.

انتشرت اللغة العربية في المدن وبعض القرى السنغالية مع انتشار الإسلام وأثرت تأثيرا بارزا في تطور ثقافات كثير من الشعب خلال قرون قبل بداية الاحتلال الفرنسي على أراضيها عام ١٦٥٢م وسيطرتها قهرا عام ١٨٨٧م^٢، وبرز خلال تلك القرون العلماء المثقفون بالعربية والإسلامية عن طريق اللغة العربية التي تعلموها قراءة وكتابة في المجالس ثم في المدارس العربية داخل السنغال وخارجها، كمورتانيا والمغرب والجزائر ومصر وسودان والمملكة العربية السعودية. وتدرس هذه المقالة إنتاجات شعرية للعلماء السنغاليين المثقفين بالعربية التي تمثل جزءا كبيرا من ثقافتهم العربية والإسلامية الواسعة من عام

١٧٥٠م - ١٩٨٤م. لبيان مدى تأثير اللغة العربية في تطور ثقافتهم وما في تلك النصوص من الأفكار والروائع البلاغية، وتتمثل أهمية هذه المقالة في إبراز تأثيرات اللغة العربية في ثقافة السنغاليين، وإخراج بعض إنتاجاتهم الشعرية، ودراسة محتوياتها ومظاهر إبداعهم وتمكنهم من اللغة العربية، واستعمال الروائع البلاغية في شرح أفكارهم . وتوزع الدراسة على المقدمة والمبحثين، الأول يدرس أساليب البيان العرب في الإنتاجات الشعرية لأربعة من العلماء السنغاليين الذين عاشوا ما بين القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي، والمبحث الثاني يدرس أساليب البيان العرب في الإنتاجات الشعرية لأربعة من العلماء السنغاليين الذين عاشوا في القرن العشرين الميلادي ويختتم الباحث المقالة بالخاتمة والنتائج والتوصيات.

المبحث الأول : دراسة أساليب البيان العرب في إنتاجات العلماء السنغاليين الذين عاشوا ما بين القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي:

١. كان الشيخ مختار "جُوب" من العلماء الذي عاشوا ما بين: (١٧٠١-١٧٨٣م) ومن الذين تأثرت فيهم اللغة العربية، فتتقف بالعربية والعلوم الإسلامية التي دفعته إلى تأسيس المدرسة القرآنية في مدينة "كوكي" سنة: (١٧٥٠م) لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العربية والإسلامية، وقد تخرج من المدرسة نخب من العلماء، وكان منهم سبطه الشيخ محمد الكوكي مشهورا بتعليم النحو، وكان يعلم كتاب الاحمرار النحوي الذي ألفه الشيخ المختار بن بون الموريتاني، وبتمكنه من علم العروض والقافية نظم الاحمرار في: (٤٦٩ بيتا)^٧ وسماه: هدية المجيد، يقول في المقدمة:

قال محمد ككي الدار * والأب من ذريّة المختار
حمدا لمن قال وما علّما * ه الشعر جلّ ملكا عبدنا
ثم صلاته على المختار * من العوالم بالاختيار
وآله المنورين المنهجا * للناس إذ ليل ضلالهم دجا

سمّيته هدية المجيد * في النحو أو معونة البليد

جعلتها فاتحة الإعراب * للمبتدي كافية الطلاب^٨

تظهر في المنظومة الثقافة اللغوية والأدبية التي منها الصور الفنية التي استعملها الناظم لشرح فكرته وبيان أسباب تأليف الكتاب وأهدافه، نرى في الأبيات الأولى حسن الاستهلال بذكر اسمه ومسقط رأسه ونسبه، وفي قوله: "حمدا لمن قال وما علمناه الشعر" اقتباس من قوله تعالى: "وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين" يس، الآية ٦٩، ونجده أيضا يصور لنا حال الناس قبل البعثة بأسلوب بياني رائع في قوله: (إذ ليل ضلالهم دجا)، فشبّه الضلال بليل مظلم شديد الظلام على سبيل التشبيه البليغ ليثبت أن المشه والمشبه به مستويان في وجه الشبه، واستعمل هذا التشبيه بأسلوب التقديم والتأخير الذي يعتبر فنا أدبيا للتخلص من انكسار النظم الموسيقي.

ومن قصائد مُحمّد الكوكبي الرائعة قصيدته التي هجا بها القاضي "مَجْحَتِي كُلِّ" بقوله:

إذا لم يكن بازٍ لدى أيكة صاحبا * ترنم فوق الغصن ورقاء ترتاحا

وأرعد منه كلية وفريضة * تحذّر فصم وهو مصغ إذا ناحا

حذار حذار الشد وكلا لعل ما * دنا منك باز فصغ كلّما صاحا

فكيف أجش المرء وهو يروثني * سأهتك جلاباب التفخّر إفضاها

فيا عجبا حتّى البغات سمعته * يعيك للاستنساخ إذا جدل ساها

فيا عجبا حتّى الإضاءة تبخّرت * وذا خرم لا يشاركه ضحضاها^٩

تناول الشاعر في هذه القصيدة صورا فنيا شرح بها فكرته، نراه يتعظم على خصمه "مَجْحَتِي كُلِّ" فقد صور نفسه بازا مشيرا إلى عظمته وقوته، وصور خصمه ورقاء وبغاثا مشيرا أنّه يكثر الكلام لبعده وغيابه عنه، وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية، ونراه أيضا يستخدم في القصيدة أسلوب الكناية للتعبير عن قدرته وتقليل شأن خصمه وإهباط درجته، في قوله: (سأهتك جلاباب التفخّر إفضاها) وفي البيت الخامس يصوّر

خصمه بصورة البغاثة تصغيرا به، ويصور شخصيته بصورة النسر تكبرا وتعظما عليه على سبيل الاستعارة، وفي البيت السادس استعمل أسلوب التحقير والتهكم قائلا: (يا عجبا الإضاءة تبهر) أى النهر يتبحر، ونرى أن القصيدة منسوجة بخيوط الهجاء والفخر على أسلوب الشعراء القدامى.

٢- الشيخ القاضي "مَجْحَتِي كُلِّ" من أشهر العلماء السنغاليين الذين تأثروا باللغة العربية والإسلامية، ولد في قرية "كَرْ مَكَل" سنة (١٨٣٥م) في منطقة "كَجُور" الواقعة بين المحيط الأطلسي ومنطقتي "جُلُوف" و"سِين سَالَم"، كان مَجْحَتِي ذكيا ونابغا في اللغة والنحو والعروض، وهو ممتاز في أغلب أغراض الشعر التي تناولها، وكان يشعر في نفسه بالتفوق في مجال الشعر، ويحكى أنه قال عن شعره: "لو كنت حيث تعلق المعلقات السبع على الكعبة، لكانت ثمانية أو تحذف غير قصيدي"، وقد طرق القاضي الأديب جميع أغراض الشعر العربي من مدح، وهجاء، ووصف، وغزل، وفخر، وثناء، وتعليم، وإلى جانب ذلك كان القاضي فقيها تولى القضاء في السنغال. توفي القاضي سنة ١٩٠٢ م.

أذكر نماذج من شعره:

١- قصيدته الغزلية الرائعة التي منها:

تذكرت أزمان الهوى فالليالي * فالأيام من لذات شرخ شبابيا

* إذا اركب طرفا أسود اللون حالكا * كما نشر المصبوغ في الليل داجيا

أخا ملهب ذى درة لهديره * دوي كأصوات الخذاريف حاكيا^{١٢}

نرى الشاعر يعبر عن فكرته بصور فنية رائعة منها: تعبير عن شبابه وما كان فيها من لذات اللهو واللعب بأزمان الهوى وأيامها وليالها على سبيل المجاز، ومنها بيان شجاعته بركوب جود ملهب أسود مقدار سواده كالثوب الأسود المفروش في الليل البهيم، وشدة أنفاسه وجريه وسرعته بصوت الخذاريف وسرعة دورا.

٢ - قصيدته الهجائية التي هجا بها الشاعر مُحمَّد الكوكي ردًا عليه بنفس البحر والقافية وهي:

فيا عجباً حتى أخِيَّ محمَّد * ركيك غدا يهجو ابن موسى كما راحا
وليس بذى نحو ولا لغة ولا * عروض ولا شيء رضى له تاحا
ألم تَرْتَعِدْ كِلْتَا يديه تَوَجُّسًا * وهو غدير يلقي قاموسا ساحا
ألا أيها المزراء يا أحمد الكُكَيَّ * ألم تر أنّ الصرف لم يحك ذا لاحا
سمعت من يهوى ويمضى تمداحا * وما أنت يا دعبوس من حقّ الأمداحا
فهلّا تموت الآن غيظاً لأنه * خَمِلْتَ خمول النجم إذ قمر لاحا
أنا طعم مرّ من يذقني يمجّني * ومن ذاقني لابدّ أن قاء أو تاحا^{١٣}

استعمل الشاعر في القصيدة صورا بلاغية جسد بها فكرته، نراه يتعجب عن أخيه كيف يهجوّه وهو ركيك الأسلوب، وجاهل عن قواعد اللغة والعروض، فقد استعمل القاضي أساليب التشبيه لنيل خصمه وتقليل شأنه وعلمه، وفي المقابل تعظيم نفسه بسعة العلم والنبوغ كما في قوله: (وهو غدير يلقي قاموسا ساحا)، فقد هجاه بقلة العلم وديق الوُفق فهو غدير بين يدي البحر المحيط، بينما شبه نفسه بالبحر المحيط تعبيرا عن كثرة علمه وثقافته وسعة أفقه فهو كالقاموس، ويمضى القاضي يهدد خصمه بالموت والفناء تحقيرا به في قوله: (خملت خمول النجم إذ قمر لاحا) حيث شبه نفسه بالقمر وخصمه بالنجم فإذا طلع القمر فلا نور للنجم، وفي قوله: (أنا طعم مرّ) أسلوب من أساليب التهديد والتخويف يستعمله بعض السنغاليين تعبيرا عن الشدة والصلابة أمام خصمهم، ونرى الشاعر أيضا يعبر عن جهل خصمه العربية والإسلامية تحكما في قوله: (وليس بذى نحو ولا لغة ولا عروض ولا شيء رضى له تاحا) على سبيل الكناية والتهكم، ونلاحظ في البيت الاقتباس مع التغيير في (طه) .

٣- وللشاعر أرجوزة في علم العروض والقافية ، بلغ عدد أبياتها (٣٨٤) بيتا، على حدّ قوله في أواخر الكتاب:

هذا وأحمد على إتمام * مبين الإشكال ذا الإنعام

حوى ثلاثمائة وأربعا * ثم ثمانين تعددت معا

نظما أبان المشكلات حاصدا * قواعد العروض والمقاصد^{١٤}

نجد في البيت الثالث من تلك الأبيات أسلوبا بيانيا رائعا يعبر به الشيخ عن تمكنه من جمع القواعد العروضية التي شبهها بحصاد الزرع مشيرا إلى مهنته الزراعية.

٣- الشيخ الحاج مالك "سَه" المولود في سنة: (١٨٥٥م) في قرية "كَايَة" من القرى المجاورة بمدينة "دَكْنَة" في منطقة "وَالُو"، وقد تحول الشيخ في المدن والقرى لطلب العلم وتعليمه ثم استقر أخيرا في مدينة "تَوَاوُن" ينشر العلم ويربّي أبناءه وتلاميذه حتى توفي: (١٩٢٢ م)^{١٥} وقد كانت له دواوين وقصائد في مختلف الموضوعات والأغراض، من أشهرها: ديوانه: خلاص الذهب في سيرة خير العرب. وقصيدته: (لقد هاج قلبي) وهي في مائة وأربعين بيتا في مدح النبي - ﷺ. وديوانه قنطرة المريد.

ويقول في مقدمة خلاص الذهب:

الحمد لله ذي الإيجاد والقدم * ممدّنا بوجود البدر ذي القدم

ثم الصلاة وتسليم يفوق على * مسك ورنده على ذي الفضل والقدم

وءاله المهتدين الخيرة الكرما * المأتمى سيرة المختار والقدم

ما أرعد الرعد والورقاء تنحب من * هديلها وجرى دمع من القلم^{١٦}

تتضمن الديوان صورا بلاغية رائعة ففي قوله: (ممدنا بوجود البدر) استعارة حيث استعمل البدر للممدوح وهو الرسول - ﷺ - ليلفت الأنظار إلى علو مرتبته وعزّته، ونراه أيضا يستعمل الاستعارة التخيلية، إذ تخيل أنّ للقلم عينا يجري منه الدمع، لتشابه جريان الحبر على القلم بمطول الدمع من العين، وذلك في قوله: (وجرى الدمع من القلم)

وكذلك تحيّل الشيخ أنّ الصلاة والتسليم طيبان تفوق رائحتهما رائحة المسك والرند، في قوله (ثمّ الصلاة وتسليم يفوق على مسك ورنند)، كلّ هذا وغيره من الأساليب البيانية تدل على سعة ثقافته وتمكنه من استعمال البيان الرائع في الشعر العربي السنغالي.

٤ - الشيخ أحمد "بَنَبْ أُمْبَكِي" الخديم الذي عاش (١٨٥٣ - ١٩٢٧م)^{١٨} وهو مؤسس الطائفة المريدية في السنغال التي مركزها مدينة طوبى، وله منظومات كثيرة تحمل صورا بلاغية تعبر عن براعته إجادته لصناعة الشعر الجيد الذي اشتهر به، ومن أشهر منظوماته: ديوانه مسالك الجنان في جمع ما فرقه الدّيمان، وديوانه: مواهب القدوس في نظم نثر شيخنا السنوس. وترى الشيخ يتحدث في مقدمة ديوان مسالك الجنان عن الفكرة التي دعت به إلى نظمه قائلا:

سميته مسالك الجنان * في جمع ما فرقه الدّيمانى

إذ كلّ ما نصّ به في الخاتمة * جئت به في ذا الكتاب ناظم

فكلّما فيه صحيح اثبتا * فحسّن الظنّ به و أثبتا

ولا يصدّك عن القبول * كوني قصير الباع فى ذا الجليل

ولا يصدّك مدى الازمان * عن أخذه كوني من السودان

إذ أكرم العباد عند الله * أكثرهم تقوى بلا اشتباه

فليس يوجب سواد الجسم * سفاهة الفتى وسوء الفهم^{١٩}

استعمل الشاعر في القصيدة بعض القوالب الفنية، ليقرب وجهة نظره وفكرته للإيضاح والإفهام، نجده يستعمل أسلوب الاستعارة في قوله: (سميتها مسالك الجنان) باعتبار أنّ تطبيق جملة ما في الكتاب يفتح طريقا إلى الجنة بلا بهتان. وتراه أيضا يستخدم أسلوب الخبر الابتدائي في قوله: (فليس يوجب سواد الجسم سفاهة الفتى وسوء الفهم) وكذلك الإنشاء الطلبي في قوله: (فحسّن الظنّ به وأثبتا) وقوله: (ولا يصدّك عن القبول ...) كما نراه يدي أسلوب الكناية عن الصفة في قوله: (كوني قصير الباع) كناية

عن قلّة العلم، للتعبير عن تواضعه، فهو مشهور بمكانته العلمية، إذ هو من كبار الشيوخ والعلماء في البلد وله شهرة وباع طويل في خدمة الإسلام وعلومه.

المبحث الثاني دراسة أساليب البيان العرب في إنتاجات العلماء السنغاليين الذين عاشوا في القرن العشرين الميلادي

١- الشيخ مُحمَّد بن الحاج عبد الله نياس المشهور بالخليفة الذي عاش في فترة: (١٨٨١ - ١٩٤٤م)^{٢١} وهو من كبار الشعراء والأدباء والعلماء في السنغال، له مؤلفات شعرية ونثرية، ومن أشهرها ديونه: خاتمة الدّرر على عقود الجوهر في مدح سيّد البشر، تناول سيرته - صلى الله عليه وسلّم، بالقصائد المرتبة على الحروف الهجائية، منها:

أثار الهوى برق على المزن قد بدا * يضيء حبياً مثل حاشية الردا
فبت رقيباً للضياء أشيمه * فله ما قد هاج من راعج الهوى
يضيء أعلى مزن ثقال تسوقها * رعود إلى الأوطان تعشق الفلا
سقى وبله أرض الأحبة لم يدع * بها منزلاً إلا أجاد به الحيا
أيا برق عرج نحو ساكن طيبة * وجد برباها ما تحبّ وما تشا^{٢٢}

تحدث الشاعر في مطلع الديوان بأسلوب الغزل العفيف ذا كرا كيف يحرك الهوى والشوق قلبه مستخدماً ببعض الصور البيانية، فشبّه ارتفاع المزن أى السحاب حين أثار به الهوى بارتفاع طرف رداه حين تهب الرياح، وشبّه نهوضه من فراسه لما حرك الهوى والشوق قلبه إلى حضرة سمّيه محمّد - صلى الله عليه وسلّم - بحالة ارتفاع المزن لما أثار به الهواء، فبات يراقب ضياء وجهه ونوره - صلى الله عليه وسلّم - الذى أضاء قلبه كما أضاء البرق المزنون الثقال التي تسوقها الرعود إلى الأوطان والفلا، فسقت وابلها أرض الأحبة، فلم تدع عنها منزلاً إلا أحيتة جوداً وكرماً، وهكذا قلب الشيخ يمتلئ بنور محبة للرّسول - صلى الله عليه وسلّم - التي أحيت قلبه الحياة الحقيقة، اختار الشيخ بمهارته وفطنته هذا التشبيه التمثيلي الرائع ليكشف ويقرب إلينا ما يعانيه قلبه من الهوى

والمحبة الصادقة لسيد البشر - صلى الله عليه وسلم، وتجدد الشيخ يورد في البيت الخامس المجاز في قوله: (أيا برق عرج ...) حيث يقصد بالبرق المزن.

٢- وهذا الشيخ إبراهيم بن الحاج عبد الله نياس الكولخي: (١٩٠٠م - ١٩٧٥م)^{٢٦} ولد - رحمه الله - في قرية الطيبة وهي تبعد عن الكولخ بحوالي خمسين كلوميترًا. فالشيخ من أكابر العلماء والشعراء والكتاب والمفكرين والمتصوفين، وله مؤلفات عديدة شعرا ونثرا في مختلف الميادين العلمية؛ العربية والإسلامية، ومن أشهر شعره الدواوين الستة، في مدح سيدنا محمد - ﷺ، وديوانه نور البصر في سيرة خير البشر، وكتابه روح الأدب لما حوى من حكم وأدب، ومجموع الرحلات الشعرية، وكتاب جواهر الرسائل وكاشف الألباس وغيرها.

يقول في مطلع ديوان تيسير الوصول:

أبي القلب إلا أن يكون متيما * حليف غرام بالنبي مهيمًا

أبيت بليل التّم سهران منشدا * لذكر الذي قد طاب بدءا ومختما

أساجل فيه الورق ليلي وجيرتي * نيام وجفني كالمذانب مغرما

أنظّم درّ اللفظ فذكر وصفه * وأحسن بوصف البدر درّا منظّمًا^{٢٧}

نرى الشيخ في هذه الأبيات يستخدم الصور البلاغية للتعبير عن فكرته وعاطفته المدحية الجياشة، التي تبرز محبته للنبي - صلى الله عليه وسلم - وفنائه فيه، ومنها: الجنس الناقص: (متيما - مهيمًا) والإيجاز بالحذف في قوله: (أبيت بليل التّم) حيث حذف موصوف التّم أي أبيت بليل البدر التّم، ومنها التشبيه المرسل المجمل في قوله: (وجفني كالمذانب) ومنها أيضا الاستعارة التصريحية حيث صرح لفظ المشبه به بقوله: (أنظّم درّ اللفظ) وفي قوله: (وأحسن بوصف البدر درّا منظّمًا) حيث استعارة لفظة الدرّ للكلمات والبدر للممدوح، والقرينة للدرّ: (اللفظ) والعلاقة الصياغة والتنظيم، وأما البدر فقرينته المدح والعلاقة جمال الوجه والعلو، وهذا أسلوب من أساليب البلاغة في التعبير

عن الجمال والعلو، فجمال الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - وعلوه فوق هذا التصور عند الشاعر، والله أعلم .

٣- وهذا الشيخ أبوبكر بن الحاج مالك "سنة": (١٨٨٥ - ١٩٥٧) ^{٣٠} -رحمة الله عليهما- كان من كبار الشيوخ والشعراء والعلماء ، له ديوان يحتوى على سبعة أقسام وهى: المحمديات ، التجانيات ، المالكيات ، التوسلات الإلهيات، المرثيات ، العمريات ، والإرشادات.

وأما المحمديات فهزمية ، سماها: درّة الغيداء و زبرجد البيضاء فى مدح البشير النذير خاتم الأنبياء وإمام المرسلين سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقول فى مطلعها متغزلاً:

تفارقت بنواحي حبّ خنساء * يالهف نفسى هل فى المصر وجناء
يغنيك عن ذكر سلمى طيب مبسمها * ليلى فتنسى عن الأفكار أسماء
فيها طلاكغزال حين لحظتها * عينا طلا وكحيل الطرف هيفاء
تسبيك منها نسيم الجرم فائحةً * كأنّ منظرها فى النظر لمعاء
أوروضةً لعبت أيدى الرياح على * مزن التجاويد فى الثافاق وطفاء
فارت مناهلها للهطل وانفجرت * تعطى المناهل بيضاءً وحمراء
كأنّ أزهارها فوق الرّبي مرحا * مثل نجوم سماء وهى ظلماء ^{٣١}

استفتح الشاعر هذه القصيدة بالغزل العفيف ومعبرا فكرته بالصور البلاغية التى منها: التشبيه المفصل فى قوله: (فيها هيفاء طلاكغزال حين لحظتها) والتشبيه التمثيلى فى قوله: (كأنّ منظرها فى النظر لمعاء أوروضة ..) وفى قوله أيضا: (كأنّ أزهارها فوق الرّبي مرحا مثل نجوم سماء وهى ظلماء) شبه الشاعر الروضة وأزهارها البيضاء بنجوم السماء فى ليلة ظلماء، فإذا تأملنا وجه الشبه نجد أنّ الصفات المتعددة تنتزع منه ، و نرى الشاعر قد صور الروضة تصويرا بديعا تتمتع به الأبصار ، وتفتتح به العقول وترتاح منه النفوس.

٤- الشيخ أحمد عيان "سِه": (١٩١٣-١٩٨٤م)^{٣٢} ولد في مدينة "انْدَر": (سَانْلَوِي) عاصمة السنغال السابقة للاستعمار الفرنسي، وكان الشيخ من أكبر العلماء والشعراء، ومن أحسنهم شعرا وأوفرهم به، وله: تسع عشرة قصيدة في الأمداح النبوية، بلغ عدد أبياتها: ١٤٥٢، وتسع عشرة قصيدة في الأمداح التجانية عدد أبياتها: ٦٩١، وست عشرة قصيدة في الرثاء عدد أبياتها: ٢٨٦، وثلاث عشرة قصيدة في مدح شخصيات دينية وسياسية، عدد أبياتها: ٢٧٠، وثمان قصائد في التوسل عدد أبياتها: ٢١٨، وخمس قصائد في الافتخار وإشادة مجد الآباء في ٥٦ بيتا. وقصيدتان في الهجاء، في ٣١ بيتا. وثمان عشرة القصيدة منوعات في: ١٩٤ بيتا، فيها الثلاثيات والثنائيات^{٣٣} ومن شعره قصيدته الرائية التي التزم فيها ما لا يلزم حينما كان يخاطب مدينته مستخدما بعض الأساليب البلاغية، قائلا:

يا "اندر" من بين البلاد افتخري * ما شئت يالك بأن تفتخري
كم حزت من حبر صميم المفخر * بين الوري معظم مؤمر
ومن مرب طاهر مطهر * لغيره ومصدر مصدر
ومفلق من شاعر محرر * ومن جواد كالسحاب المتمر
وحافظ جامع كل سرور * في صدره القرآن كالمصور^{٣٤}

نرى الشاعر في هذه القصيدة يخاطب مدينته منزلا بها منزلة العاقلة التي تحظي بامتيازات كثيرة التي تؤهلها التفخر أمام مثيلاتها من المدن، فهي أم تحتضن علماء ذوي القدر، ومرب طاهر الخلق تربى في حجرها، وشاعر أديب عبقرى ارتضع بثدييها، وجواد تغطبت به السحب الممطرة لجوده الذي يشمل الداني والقاصي.

استخدم الشاعر أساليب التشبيه المفصل والمجمل كما في قوله: (ومن جواد كالسحاب المتمر) تعبيراً عن جود أهل مدينته وكرمهم، وكذلك في قوله: (وحافظ جامع كل سرور في

صدره القرآن كالمصور) بيانا عن ذكاء أبناء مدينة "اندر" وعبقريتهم في جمع العلوم وحفظ القرآن الكريم، فصدورهم كآلة التصوير وتمكنها من تلقى صنوف العلم والحكم.

الخاتمة:

رأى الباحث من خلال هذه الدراسة أن اللغة العربية أثرت تأثيرا كبيرا وفعّالا في تطور ثقافة عدد كبير من أبناء، فقد تمكن كثير منهم من القراءة والكتابة وتأليف الكتب الإسلامية والعربية، وقرض الشعر العربي الجيد مقطوعة وقصائد رتبت دواوين في مختلف الموضوعات في جميع أغراض الشعر العربي، ومن الأدوات العلمية والفنية التي تسلحوا بها حتى خرجت أشعارهم على الصور الممتازة هي الأساليب البلاغية المختلفة المنتشرة في ثنايا قصائدهم من حين لآخر. وقد تناول هذا البحث بدراسة مجموعة من العلماء السنغاليين ونماذج من أشعارهم الممتازة التي تمثل جانبا من جوانب ثقافتهم الأدبية والعلمية التي حصلوا عليها عن طريق اللغة العربية وكذلك قام بإبراز ما في هذه القصائد من الروعة البيانية.

يوصي الباحث جميع مستفيدين من اللغة العربية إظهار أهميتها والأدوار التي تقوم بها لتثقيف الإنسان وإعطائه المنزلة الرفيعة. ونحن السنغاليون نعزّز باللغة العربية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ١- عثمان إنجاي ٢٠٠٥م صفحات من تاريخ السنغال عبر العصور، مطبعة خطاب ، القاهرة، مصر ص ٢١
- ٢- شيخ امبكي انجاي (١٤١٨) السنغال من منظور جغرافي مطبعة دار الرشاد جدة، ص ٢٠-٢١

- ٣- مجمع اللغة العربية ٢٠٠٣م المعجم الوسيط ، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ص ٥
- ٤- المجمع نفسه ، ص ٨٣٢
- ٥- المرجع نفسه، ص ٥٩١
- ٦- المرجع نفسه ، ص ٩٨
- ٧- أحمد "جوف" بن تفسير "باب جوف" ، تاريخ المدارس القرآنية بغرب إفريقيا ، والكتاب مطبوع ومنشور، لم يذكر المؤلف مكان طبعه وتاريخه ولكنه كتب: انتهى بيري يوم الجمعة غرة الربيع الثاني ١٤١٩م الموافق ٢٤ يوليو ١٩٩٨م ص ٤٢-٤٤
- ٨- عامر صمب ، (الدكتور) غير مؤرخ الأدب السنغالي العربي ، مطبوع ومنشور، مطبعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، ج ٢، ص ٧٠.
- ٩- المتنبى، ديوان المتنبى ، مطبعة الزهراء للإعلام العربي ٢٠٠٤م ، ص ٤٠.
- ١٠- شيخ تجان "غاي" غير مؤرخ ، كتاب القاضي الأريب "مَجَحِّي كُلِّ" وهو دراسة مستفيضة عن حياته وإنتاجاته الشعرية النفيسة ، ص ٧٥-٧٦
- ١١- عثمان أنجاي ابن "سرنج" بابكرم، ٢٠٠٥م، صفحات من تاريخ السنغال عبر العصور، مطبوع بمطبعة خطاب ٤٧ شارع قصر النيل القاهرة تقديم/الأستاذ الدكتور محمد سالم أبوعاصي، راجعه الدكتور/عبد الغفار، ص ٥٠.
- ١٢- عامر صامب الأدب السنغالي العربي ، المرجع السابق، ج ٢ ، ص ٧٠.
- ١٣- المرجع نفسه ، ج ٢ ، ص ٧١.
- ١٤- المرجع نفسه ، ج ٢ ، ص ٨٢.
- ١٥- أحمد "جوف" تاريخ المدارس القرآنية بغرب إفريقيا، المرجع السابق ص ١٠٥-١٠٦.

- ١٦- الحاج مالك "سِه" (الشيخ)، غير مؤرخ ، خلاص الذهب في سيرة خير العرب مطبعة إفريقيا "رِفْسَك"، ص.٣
- ١٧- الحاج مالك "سِه" (الشيخ) ، لقد هاج قلبي، مطبعة إفريقيا "رِفْسَك" السنغال غير مؤرخ ، ص ١-٢٠
- ١٨- تاريخ المدارس القرآنية بغرب إفريقيا، المرجع السابق، ص. ١١٦
- ١٩- أحمد "بمبا" الخديم (الشيخ)، مسالك الجنان، غير مؤرخ، ص ٥-٦.
- ٢٠- أحمد "بمبا" الشيخ الخديم ، مواهب القدّوس، غير مؤرخ، ص ٤-٥.
- ٢١- الأدب السنغالي العربي، المرجع السابق، ج ٢، ص. ٦٠
- ٢٢- محمّد بن الشيخ الحاج عبد الله نياس المشهور بالخليفة، ديوان خاتمة الدرر على عقود الجوهر في مدح سيد البشر، والديوان مطبوع ومنشور، طبع بمطبعة دارالتأليف، ج ١ ص ٢٢-٢٥.
- ٢٣- المرجع نفسه ، ج ١ ص ٣٨٦-٣٨٧.
- ٢٤- مُحمّد الخضر الجنكي الشنقيطي، مشتهي الخارف الجاني في ردزقات التجاني الجاني، دار البشير، عمان الأردن الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م، ص: ٦
- ٢٥- مُحمّد بن الحاج عبد الله نياس الخليفة، الجيوش الطلّع بالمرهفات القطّع ، مطبع دار التأليف -يعقوب- السيّد زينب، ص ١٣-٢١.
- ٢٦- تاريخ المدارس القرآنية بغرب إفريقيا، المرجع السابق، ص ١١٦ .
- ٢٧- إبراهيم بن الحاج عبد الله نياس (الشيخ) ، روح الأدب، غير مؤرخ، ص. ١.
- ٢٨- إبراهيم بن الحاج عبد الله نياس، الدواوين الستة، مطبعة دار الفكر بيروت ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م، ص. ٧.
- ٢٩- إبراهيم بن الحاج عبد الله نياس، نورالبصر في سيرة خير البشر، غير مؤرخ، ص. ١.
- ٣٠- الأدب السنغالي العربي، المرجع السابق ج ٢، ص. ١٦٣.

- ٣١- أبوبكر بن الحاج مالك سه ، ديوان شعرية جامعة مخطوطة، ص.٢٠
- ٣٢- تجمان "عائ" بمدينة "لوعا" كتاب المرشد الشاعر الشيخ أحمد عيان "سه"، مطبوع
- أشيف سنغالي بشارع تيش ، دكار، ٢٠٠٣م، ص ١١-٢١
- ٣٣- المرجع نفسه، ص ٢٥ .
- ٣٤- المرجع نفسه، ص ٧.